تلك اللوحات.

عدنان الزبيدي (من سكان بيت لحم)، احد العارضين، قال عن لوحة له في المعرض انها مستوحاة من شهر آذار (مارس) العظيم، ذي المناسبات العظيمة كـ «يوم الارض» و«يوم المرأة العالمي» و«عيد الأم» و «يوم الشهيد» و«يوم الكرامة»، والربيع؛ فكتب على لوحته كلمة «آذار» بطريقة شغلت حيزاً كبيراً من اللوحة وبشكل يحتضن زهرة شقائق النعمان الحمراء الحنونة التي تشق حضورها، على الرغم من رقّتها، الصخور في سبيل اثبات الوجود والحرص عليه، رمزاً لاطفال الحجارة الذين يتحدون بسواعدهم الطرية حديد العدو.

طالب الدويك (مدرس التربية الفنية في المعهد العربي في ابو ديس، قرب القدس) قال ان الانتفاضة اثرت في النتاج الفني بشكل واضح، سواء من حيث المضمون او من حيث الشكل. لقد اتجه بعض الفنانين الى استغلال خامات البيئة المحلية. سليمان منصور، مثلاً، راح يستعمل الرمل والتبن والاصباغ الترابية والحنّاء. نبيل عناني بدأ تجربة جديدة باستعماله الحنّاء والرسم به على الجلد. وكريم دباح استعمل النحاس مع تلوينه بطريقة «الامايل». وتيسير بركات لجأ الى الخشب ليعمل ابداعه فيه.

ان تحوّل بعض الفنانين التشكيليين الفلسطينيين في الارض المحتلة الى استعمال المواد الخام والمتوفرة في طبيعة الارض الفلسطينية له دلالتان: الأولى، انه تعبير عن موقف سياسي ينسجم مع ظروف الحياة في ظل الانتفاضة، لمقاطعة كافة البضائع والمواد التي تنتجها اسرائيل او يستوردها التجار الاسرائيليون؛ والثانية هي العودة الى الاصول، الى المواد الخام، والتعاطي معها لاكتشافها، واكتشاف آفاقها.

يلاحظ المرء أن المعارض التي اقيمت في زمن الانتفاضة، اقيمت كلها امّا في القدس، او في مدن فلسطينية من فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨. اننا لم نعلم عن اي معرض، اقيم، في هذه الاثناء، في اي من مدن او قرى الضفة والقطاع. والسبب في ذلك عائد الى الصعوبات المتمثلة بضرورة الحصول على تصريح لاقامة المعرض اولاً، وهو أمر يرفض دائماً؛ ثمّ ان الاجواء لا تسمح للناس بالتفكير في زيارة معرض، لانشغالهم بتدبير أولويات الحياة للعيش وضمان استمرار الانتفاضة.

ففي القدس، ومدن كحيفا والناصرة وام الفحم وتل ـ ابيب، وفي غيرها من الاماكن، استطاع التشكيليون الفلسطينيون هناك تنظيم نشاطاتهم، مستفيدين من القوانين التي تتطلب الحصول على تصاريح لنشاطات ثقافية مسبقاً، ومستفيدين من القوى الثقافية الاسرائيلية التي قدمت التسهيلات الى تلك النشاطات، من خلال المؤسسات التي تنتمي اليها، كالنقابات والاندية وغيرها.

اسماعيل شموط